

التنشئة الاجتماعية وآليات تشكيل العنف عند المراهق

الأستاذة: ليلي جوفلكيت.

جامعة علي لونيسي - البليد "2"

الملخص:

تمثل الأسرة الوسط للتجارب الأولى في الحياة الوجدانية، التواصلية وتبادل العلاقات الاجتماعية للفرد، ويتحكم المناخ الأسري بصفة واسعة في إقامة توازن الفرد ونموه الانفعالي، ويشكل نموه المعرفي من خلال أنماط السلوك التي يقترحها؛ والتصرفات العنيفة توجد أكثر عند الأطفال الذين لا تستطيع أسرهم ضمان نماذج فعالة للاتصال وتربية أبنائها تربية قائمة على العلاقات الوجدانية، والقواعد العادلة تجاه كل أفراد الأسرة؛ والتحليل الاجتماعي لظاهرة العنف في المدرسة يقتضي معرفة آليات تشكيله في البيئة الأسرية التي نشأ فيها الطفل.

Résumé :

La famille représente le lieu des premières expériences affectives relationnelles, et sociales de l'individu, et le climat familial conditionne largement sa stabilité et son développement émotionnel, il façonne son développement cognitif par les modèles de conduite qu'il propose.

Les comportements de violences sont souvent favorisés chez les enfants dont les parents n'arrivent pas à assurer des modèles efficaces de communication et une éducation basée sur des relations affectives et des règles équitables pour tous les membres de la famille.

الإشكالية:

أصبح الاهتمام بدراسات العنف من الأمور الضرورية في حياة المجتمعات وذلك لما له من آثار وخيمة على حياة الأفراد ومختلف المؤسسات الاجتماعية، كالأسرة، المدرسة وغيرها.

فالعنف ظاهرة اجتماعية بارزة في المجتمعات لم ينجو منها المجتمع الجزائري الذي تعرض لكل أشكال العنف منها الأسري، المهني، الديني وحتى الجسدي والجنسي. ومن بين هذه الأنواع برز نوع آخر لا يقل خطورة، خاصة إذا تعلق الأمر بفئة اجتماعية حساسة جدا يعتمد عليها في بناء مستقبل المجتمعات (وهي فئة الأطفال) و بمؤسسة هامة معروف عنها في مختلف الدول والأزمات أنها لا بد أن تعمل من أجل تحقيق هدفا أساسيا ، هو تنشئة الأجيال تنشئة اجتماعية و وطنية سليمة و إعدادهم لمواجهة المستقبل (و هي المدرسة)، هذا النوع هو العنف المدرسي، ويعتبر العنف المدرسي من المظاهر الحديثة في المدارس الجزائرية متعدد المظاهر التي ترتبط بعدة عوامل أهمها العامل التربوي، ولما كانت العملية التربوية عملية تفاعل متبادل بين الأسرة والمدرسة، كان الداعي إلى التركيز على هاذين الوسيطين الاجتماعيين المهمين في توجيه سلوكات الأطفال، والعمل على تحسين مستواهم الدراسي.

فالأسرة هي الوسط الاجتماعي الأول الذي يساهم في بناء شخصية الطفل وتعليمه أنماط الحياة، وهي الإطار المؤسساتي الأول الذي يتلقى فيه الطفل دروس الحياة الاجتماعية من خلال عملية التنشئة، لتأتي بعد ذلك المدرسة لإكمال هذه المهمة باعتبارها المؤسسة الاجتماعية الثانية التي تنمي سلوكات الأطفال (التلاميذ) وتكسيهم سلوكات و معايير اجتماعية من خلال عملية التفاعل الاجتماعي، المتمثلة في العلاقات المختلفة بين أفراد المؤسسة التربوية من تلاميذ وأساتذة وغيرهم. وكذا من خلال احترام قوانين المؤسسة .

مشكلة الدراسة:

ما يدفعنا للتساؤل هو كيف يتشكل العنف داخل المدرسة، و ما هي آليات تشكيله هل ترجع لأسباب أسرية أم مدرسية ؟ و ما هو السبيل لمعالجة مثل هذه الأسباب و محاولة الحد من خطورتها؟

أهمية الدراسة:

ما يهمنا هنا هو تطوير العملية التعليمية في الجزائر، وكذا التحسين مستوى تلاميذنا بإتاحة الفرص الممكنة للقضاء على العنف.

الهدف من الدراسة:

التعرف على آليات تشكيل العنف داخل المدرسة لدى التلاميذ المراهقين و توضيحها للمهتمين بالأمور التربوية من آباء و معلمين، لمعرفة طبيعتها و الخروج بنتائج تفيد في علاجها.

فرضيات الدراسة:

انطلقت الدراسة من فرضية عامة وهي العنف المدرسي يرجع لأسباب تربوية، أسرية.

الدراسة الاستطلاعية:

وفي الدراسة الاستطلاعية لموضوعنا عالجت الدراسة ما يلي:

- 1-هل سبق لك الدخول في مشادات مع الوالدين أو مع الآخرين؟
- 2-هل تتعرض لعقوبات في البيت؟
- 3-ما هو موقف والديك عندما تتعرض لمشاكل مع المعلمين أو مع الآخرين؟
- 4-كيف تتعامل معك الأسرة؟
- 5-كيف تتصرف مع المعلمين، وما هي نظرتك لهم؟
- 6-ما هي الأسباب التي ترى أنها مسؤولة عن ظاهرة العنف المدرسي؟ هل هي في نظرك؟

- الشعور بالإحباط و فقدان الأمن.

- ضعف هيبة المعلم و علاقته بالتلاميذ.

- ضعف سلطة الأسرة.

- ممارسة العنف داخل و خارج المؤسسة.

- النظرة التشاؤمية للمستقبل.

7-كيف يتشكل العنف في رأيك؟

تمهيد:

إن غرس السلوكات النبيلة في نفوس أبنائنا من أهم الواجبات التي يجب إعطاؤها الأولوية في المنظومة التربوية و التي يجب السعي إلى تحقيقها لبناء شخصيات سوية و تحصينها من السلوكات العنيفة و الواقع الاجتماعي بما فيه الواقع الجزائري اليوم وفي ضوء معطيات العصر الجديد في جميع المجالات منها الاجتماعي و الإعلامي يلح علينا إلى ضرورة لفت الانتباه إلى أبنائنا في المؤسسات التربوية وبالأخص في المدرسة ، خاصة وان الدراسات الحالية أوضحت أن هناك مشكلات ترتبط بالعنف. خاصة تلك الانحرافات السلوكية بين الطلاب و المجتمع المدرسي. ولأجل مواجهة هذه المشكلات تريد دراستنا تسليط الضوء على هذه الجزئية من جزئيات العنف في المؤسسة الاجتماعية التربوية ، وسنحاول تعريف العنف واليات تشكيله داخل المدرسة ، والخروج بتوصيات واقتراحات للحد من هذه الظاهرة داخل المدرسة أو على الأقل التقليل منها، وقبل التطرق لتعريف ظاهرة العنف المدرسي لابد من تحديد المفاهيم و المصطلحات المتعلقة بظاهرة العنف، إذ يمكن تناوله من عدة منطلقات.

1 التعريف اللغوي للعنف:

يعرف العنف لغة « الخرق بالأمر وقلة الرفق به وهو ضد الرفق واعنف الشيء :أخذه بشدة والتعنيف هو التفريق واللوم »⁽¹⁾ ، وهو تلك الكلمة اللاتينية التي « تدل على الوحشية والقوة ويبدل فعل violoire على القدرة واستخدام القوة

(1) - ابن منظور: لسان العرب ، دار لسان العرب، بيروت ، 1975، 257.

الجسدية»⁽²⁾، كما انه تلك الصفة العنيفة تستعمل كما يعرف انه "مضاد للرفق ومرادف للشدة والقسوة والعنيف هو **violont** المتصف بالعنف، فكل فعل شديد يخلق طبيعة الشيء ويكون مفروضا عليه من الخارج فهو بمعنى ما فعل عنيف»⁽³⁾، فالعنف « يعتبر وسيلة للتعبير عما بداخل الفرد وتكون مرفوضة باستعمال القوة سواء كانت هذه القوة موجهة نحو الأفراد أو الأشياء، وقد صنف العنف كمرض اجتماعي شأنه شأن الأمراض الجسمية ينتقل من المريض إلى السليم»⁽⁴⁾، ويتضح من التعريفات السابقة أن مفهوم العنف يشمل ذلك السلوك الفعلي للقوة، بإلحاق الضرر بالذات أو بالأشخاص الآخرين أو حتى بالامتلاكات ، وهكذا « تشير كلمة "عنف" في اللغة العربية إلى كل سلوك يتضمن معاني الشدة والقسوة والتوبيخ واللوم والتفريغ ، وعلى هذا الأساس فإن العنف قد يكون سلوكا فعليا أو قوليا »⁽⁵⁾.

و يتضح من خلال التعريف أن العنف قد يأخذ عدة أشكال، فيكون إما فعلا أو قولاً، وهناك من يعرفه على انه استخدام غير مشروع للقوة المادية بأساليب متعددة، وكذلك في اللغة الانكليزية إذ يعني « إلحاق الأذى بالأشخاص والإضرار بالامتلاكات، ويتضمن ذلك معاني العقاب والاعتصاب والتدخل في حريات الآخرين»⁽⁶⁾، وفي معجم العلوم الاجتماعية « هو استخدام الضغط أو القوة استخداما غير مشروع أو غير مطابق للقانون من شأنه التأثير على إرادة فرد ما »⁽⁷⁾.

(2) – Michaud Yves : **la violence** , PUF ,Paris , 1973, P 04.

(3) – جميل صليبا : **معجم الفلسفة** ، دار العلم للملايين ، بيروت ، 1982 ، ص 112.

(4) – عبد الرحمن العيسوي : **الإرشاد التقني**، الإسكندرية، دار المعرفة ، 1999، ص 432.

(5) – حسين توفيق إبراهيم : **ظاهرة العنف السياسي في النظم العربية**، سلسلة أطروحات الدكتوراه (14)

، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت لبنان ، ط 2 ، 1993، ص 41.

(6) – حسين توفيق إبراهيم : **ظاهرة العنف السياسي في النظم العربية**، سلسلة أطروحات الدكتوراه

(14) ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت لبنان ، ط 2 ، 1993، ص 41.

(7) – احمد زكي بدوي : **معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية**، مكتبة لبنان ، بيروت ، 1986 ،

ص 44.

وفي مجمل هذه التعريفات يتضح لنا أن مفهوم العنف يتخذ عدة اتجاهات فهو إما أن يوجه ضد فرد نفسه أو ضد الآخرين أو ضد الممتلكات ، وفي مجملها تدل على انه سلوك غير مشروع أي انه سلوك غير مقبول اجتماعيا ،لأن من شأنه أن يلحق الأذى والضرر بالفاعل وبالأخرين أي المستهدفين.

وهو ما تؤكد له لنا تعاريف العنف اصطلاحا ، فهي إذن في مجملها تركز على استخدام القوة بكافة أشكالها وبشكل غير مشروع.

العنف اصطلاحا:(التعريف الاصطلاحي)

يعرف العنف اصطلاحا على انه"كل ضغط لا يحتمل ،يمارس ضد الحرية الشخصية ويحمل أشكال التعبير عنها بهدف إخضاع طرف لصالح طرف آخر في إطار علاقة قوة غير متكافئة سياسيا أو اقتصاديا أو اجتماعيا أو غيره ، أكان هذا الاختلاف قائما على الجنس أو المنشأ أو العرق أو السن أو ما عدا ذلك ، انه مساس بالشخصية الإنسانية ، وبالتالي عائق لنموها و إنعتقاها ولأنسة الوجود البشري»⁽¹⁾.

فالعنف إذن يأخذ العديد من المظاهر في الواقع ،الشيء الذي يجعل التعاريف حوله متعددة فكل تعريف يركز على مظهر معين ويعرفه بخلفية نظرية ما.

هذا لان موضوع العنف ذاته يشير إلى مدى واسع من السلوك يجعله مجال اهتمام اتجاهات نظرية مختلفة.

ولهذا يرى كل من (Zigler وAber 1981) ثلاثة أنماط من التعاريف :

1.التعريفات الشرعية ذات الطابع القانوني ،لأجل تحديد الحقوق المتعلقة بالحضانة.

2.التعاريف الاجتماعية لأجل مساعدة المعنيين لاتخاذ قرارات Pdequates في تدخلاتهم في مجال الحماية الاجتماعية.

(1) — سوسن شاكر مجيد: العنف والطفولة: دراسات نفسية، دار صفاء للنشر والتوزيع،عمان،ط1،

3. التعاريف التي يستعملها الباحثون لأجل تحديد أسباب وأثار مختلف أنماط العنف⁽²⁾.

ويمكن تعريف « العنف من فرد لأخر بمحاولة تسلط متزايدة يفرض خلالها احدهم (ومن موقع إحساسه بقوته) مراقبة وضغط الآخر ومستخدم وسائل ضغط متنوعة تحافظ على حالة دونية وتجبره على تبني مواقف و سلوكات مطابقة أو تتطابق مع توجهاته الخاصة ورغباته»⁽³⁾، وهذا حسب S.Thibault وآخرون في تقرير 2002-2003 الكيباك (çuebec).

ويرى Dardel Joouadi أن العنف « يرجع خاصة إلى عنف المؤسسات كالمدرسة والأسرة ولكن بطريقة خاصة أكثر إلى العنف الجسدي احد التعريفات الأكثر كمالات للعنف»⁽⁴⁾ والعنف في المدرسة هو حالة عنف مؤسسية ترتبط بالواقع الاجتماعي ككل تخرج عن حالة العنف الجسدي والمراد بالعنف في هذه الحالة : « استعمال نفوذ أو قوة فيزيقية و سيكولوجية وأخلاقية أو اجتماعية بطريقة معلنة أو مستترة ، تلقائية أو مقصودة ، مبررة أو لا من طرف فرد، جماعة، أو مجموعة ، عن طريق سلوكياتهم أو بنياتهم ، والتي من أثارها معارضة أو تحطيم ، جزئيا أو كليا ، بوسائل فيزيقية ، سيكولوجية ، أخلاقية ، أو اجتماعية ، شيء ما (ممتلكات مادية ، أشخاص، رموز) من اجل ضمان الإجابة على حاجة شرعية أو التجاوب مع هذه الحاجة الغير محققة»⁽⁵⁾.

(2)- Pierre Anare Boudin, Mihians ER Kohen ,Markus (EDS) : Violence a l école , Fatalité ou défi ? col pratiques pédagogiques éd ;De Bock université , Bu scelles, Belgique ,2000, P 20.

(3) — رجاء مكي، سامي عجم: اشكالية العنف: العنف المشروع والعنف المدان، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر مجد ، بيروت، لبنان، ط1، 2008، ص38.

(4) - Pierre Anare Boudin, Mihians ER Kohen ,Markus (EDS) : Violence a l école , Fatalité ou défi ? col pratiques pédagogiques éd ;De Bock université , Bu scelles, Belgique ,2000; P 19

(5)- Pierre Anare Boudin, Mihians ER Kohen ,Markus (EDS) : Violence a l école , Fatalité ou défi ? col pratiques pédagogiques éd ;De Bock université , Bu scelles, Belgique ,2000; P 19.

من خلال هذا يمكننا الكشف على أن العنف داخل المدرسة نابع عن انفعالات نمطها عنفوي، إما أن يكون الفاعل فيها فرد أو جماعة أو منظمة ما وسببها عدم إشباع حاجة معينة، أو للدفاع عن حاجة ما.

ولهذا يرى (ميشو Michaud) انه « يوجد عنف ما في وضعية تفاعل ، يتصرف فاعل أو عدة فاعلين بطريقة مباشرة أو غير مباشرة ، مركزة أو موزعة تمس بالآخرين بدرجات متفاوتة سواء في شرفهم الجسدي أو المعنوي أو في ممتلكاتهم ، أو في مشاركتهم الرمزية أو الثقافية»⁽¹⁾.

وقد يتعدى إلى أكثر من ذلك حسب Fitzhugh Dods إذ يعرفه على « انه شعور بالغضب أو العدوانية يتجسد بأفعال دامية جسديا ، أو بأعمال تهدف إلى تدمير الآخر وقد دعا إلى التمييز بين أعمال ومشاعر العنف والى عدم الخلط بين الغضب المرتبط بمثير وبين طبيعة الفرد العدوانية »⁽²⁾.

ومن خلال هذه التعاريف الخاصة بمصطلح العنف نستنتج أن مفهوم العنف يختلف نسبيا من ثقافة إلى أخرى بالإضافة إلى انه متعدد الأوجه فنرى (جون لوكا) يرى « أن العنف له ألف وجه وان أشكال العنف مثل الأعداء تبدوا لا متناهية فهي دائمة جديدة ومتجددة »⁽³⁾ ، إذ تتراوح بين الألم الجسدي أو الإصابة أو حتى جرائم القتل و الاعتداء والاغتصاب وحتى السرقة أحيانا وتخريب ممتلكات الآخرين ، فهي صورة من التفاعل الإنساني والانفعال الذي يصيب الجسد أو النفس أو كليهما وهو بذلك « سلوك ظاهر يحدث تدمير بالأشخاص أو الممتلكات ، والعنف هو نهاية المطاف لسلوك عدواني ، والعنف يكون فجائيا ، وغير مخطط له كما يخضع لصيغة العقلنة أو التفكير العقلاني ، والعنف هو الفعل المباشر للهجوم بقصد

(1) - Michaud yves : la violence , coll que sais- je? 3 éd puf , paris,1992,P8

(2) - Dodson Fitzhough: tout se joue avant six ans, Belgique éd marabout, PARIS,1972,P213.

(3) - السيد عوض : جرائم العنف الأسري بين الريف والحضر ، مطبوعات مركز البحوث والدراسات الاجتماعية القاهرة ، 2004، ص12.

الضرر كما لا يمكن التنبؤ بمجره أو بدايته، ويتميز العنف بصيغة انفعالية شديدة قد تنطوي على انخفاض في مستوى البصيرة...»⁽⁴⁾.

وهو بالمعنى الواسع حسب جراهام **Graham** وروبرت جور **Gurr** « سلوك يهدف إلى خلق إهانات للأشخاص أو الخسائر في الممتلكات جماعيا أو فرديا، ويمكننا اعتبار أفعال عنف معينة جيدة أو سيئة أو لا هذا ولا ذاك حسب مبدأ ضد من»⁽⁵⁾.

وعلى العموم فإن مصطلح العنف يحمل في طياته معاني عديدة حسب استعماله، فهو إما عنف شرعي تختلف شرعيته حسب المجتمع المتواجد فيه أو غير شرعي أي ممنوع قانونيا أو سياسيا وغير مقبول اجتماعيا و مع اتفاق بعض التعاريف على أنه موجه بقصد الضرر ، فقد يكون في نظر البعض مثل جراهام وجور المحرك الأساسي في المجتمع ووسيلة للحفاظ على توازنه البنائي الوظيفي، إذ يرى أنه يمكننا اعتبار أعمال عنف معينة جيدة وهي فكرة محورية في صراع الطبقات لدى ماركس الذي يرى أن الصراع هو محرك التاريخ و محفز التغير.

العنف المدرسي:

يمكن أن يحدث العنف المدرسي في إطار مؤسساتي وحينما يكون في داخل المدرسة يسمى عنفا مدرسيا ، وحينما يكون بين التلاميذ تعرفه فاطمة فوزي بأنه « تعدي التلميذ أو عدد من التلاميذ على غيره من التلاميذ أو على احد العاملين بالمدرسة بالقول أو الفعل أو تخريب أو سلب ممتلكاتهم الشخصية...على أن يتم ذلك في الفصل أو خارجه أو في نطاق المدرسة...»⁽⁶⁾.

وتشير أيضا إلى مفهوم المخالفات المدرسية، أي كل ما يصدر من التلاميذ ويكون مخالفا لقانون المدرسة.

⁽⁴⁾ – السيد عوض : جرائم العنف الأسري بين الريف والحضر، مطبوعات مركز البحوث والدراسات الاجتماعية القاهرة 2004 ص 13.

⁽⁵⁾ - Michaaud yves : la violence , coll que sais- je? 3 éd puf , paris,1992,P8

⁽⁶⁾ – أميمة منير عبد الحميد جادو، دار السحاب للنشر و التوزيع، الطبعة الأولى، القاهرة، 2005، ص 6.

والمقصود بالعنف المدرسي حسب عدنان كفي « ما يجري في بعضها من ممارسات سلوكية يكون أبطالها الطلاب والطالبات و المعلمون والمعلمات ، شرارتها الغضب ووقودها تزايد الانفعال ونتيجتها استخدام اللطم والركل والضرب باللكمات والآلات الحادة والعصي وأحيانا بالسلاح...»⁽⁷⁾ .

ولم يقتصر عدنان كفي على العنف بين التلاميذ، وإنما تعدى ذلك ليشمل المعلمين أيضا أي كل الأطراف التي تتكون منها المدرسة تستطيع أن تخلق عنفا مدرسيا ، المهم انه في إطار مدرسي وقد يكون العنف المدرسي حسبه إما لفظيا أو جسديا أي إما بالشتم أو الركل أو الضرب باللكمات والآلات.

كما نجد أن مفهوم العنف المدرسي قد يرتبط بمفاهيم مختلفة أهمها للانضباط، أو عدم الانضباط ولذلك لابد من الوقوف أمام هذا المفهوم الوثيق الصلة بالعنف المدرسي.

التنشئة الاجتماعية وآليات تشكيل العنف عند المراهق :

يشكل السلوك العنيف ظاهرة سلوكية واسعة الانتشار في أوساط تلاميذ المرحلة المتوسطة والذي يأخذ أشكال متعددة لها تأثير قوي ومباشر على شخصية المراهق وعلى مردوده الدراسي وحتى على المحيطين به في المدرسة. ولمعرفة هذه الأشكال المتعددة للعنف لابد من الوقوف على آليات تشكيله وهنا لا نستطيع أن نذكر جميعا ما لوسائل التنشئة مجتمعة من مسؤولية في اكتساب السلوك العنيف بدءا بالأسرة.

أثر المعاملة الوالدية على سلوك المراهق:

لقد افترض العديد من الباحثين أن التنشئة الاجتماعية في الأسرة عامة وأساليب المعاملة الوالدية خاصة تقوم بدور فعال في التأثير على السلوك العنيف للأبناء في مراحل عمرهم اللاحقة عندما يدخلون في مرحلة المراهقة وما بعدها، بل أنه يمكن التنبؤ بالسلوك العنيف للأبناء من خلال معرفة أساليب التنشئة الاجتماعية أو المعاملة الوالدية التي يتبعها الآباء معهم .

(7) — أميمة منير عبد الحميد جادو، دار السحاب للنشر و التوزيع، الطبعة الأولى، القاهرة، 2005: ص6.

« لقد اهتم الكثير من الباحثين بالأسرة لما لها من دور مؤثر وفعال في الانحراف و السلوك العنيف وذلك لما تحتله الأسرة من أهمية حيوية في عملية التنشئة الاجتماعية للفرد، إذ عن طريقها تغرس في نفس الصغير خلال سنوات طفولته المبكرة أنماطا و نماذج ردود أفعاله، واستجاباته تجاه التفكير والإحساس والقيم المعايير»¹.

فهي أول مؤسسة تربوية ينشأ ويتعلم فيها الطفل، إذ يتم فيها عملية الانتماء الاجتماعي الأول، وتتشكل أسس الهوية و اكتساب لبعض العادات و المهارات و كذا طرق التصرف والانضباط، كما أنها تقدم وظائف مختلفة منها الوظيفة الاجتماعية و النفسية و الثقافية و الدينية وغيرها.

و تتأثر عملية التنشئة الاجتماعية بمثيرات مختلفة مما يجعلها ناقصة و خاطئة في بعض الأحيان، إذ تقوم على اتجاهات والدية سلبية و من أهمها التحذير، الهيمنة، و التسلط، و استخدام أسلوب الضرب و الشتم وإصدار الأحكام السلبية، وأحيانا أخرى باستعمال أسلوب التخويف و التهديد الذي يعتبر من وسائل التربية في العائلات الجزائرية.

«إن التهديد هو من وسائل العائلات الجزائرية التربوية، وهو وسيلة تهريبية كثيرا ما تستعمل في أوساطنا العائلية، إلا انه أحيانا يؤدي إلى نتائج وخيمة ويكون مفعولها سلبيا خاصة بالنسبة للمراهقين ذوي المزاج الصعب»².

والطفل الجزائري: "يميل منذ صغره إلى الغضب وان التربية التي يتلقاها الأطفال لا تدفعهم للتحكم والسيطرة على انفعالاتهم، هذه العادات و الممارسات التي يتلقاها الطفل في طفولته تظهر لدى الراشدين، إذ يتظاهر الرجل في تصرفاته و في كلامه بالغضب والتحدي (يصرخ ليثبت رجولته).....والطفل الصغير لديه هنا

¹. مجدي محمد توفيق حمدان: مظاهر العنف لدى طلبة الصف العاشر في المدارس الحكومية في مدينة عمان، عمان، 2007، ص22.

². Zerdouni Nafissa ,enfant d hiver éducation de l enfant en milieu traditionnel algérien ,coll. :Domaine maghrébine ,ed :Francis Mespéro ,Paris,1982.p76.

نموذجاً للعنف التعبيري".¹ وقد يتعدى هذا التهديد إلى الضرب و الشتم ووسائل أخرى للترهيب و التعذيب.

ومما لا شك فيه و حسب ما رأيناه في نظرية التعلم الاجتماعي، فإن الطفل سيعيد ما تعلمه من أوليائه بنفس الطريقة أو بأكثر شدة و قسوة وانتقاماً لما تلقاه في طريقة تنشئته.

« إذ يتعلم الأفراد العنف بنفس الطريقة التي يتعلمون بها أنماط السلوك الأخرى، فالطفل منذ نعومة أظافره يتعلم التكيف مع نمط الشخصية الذي يكون محبباً أو مرغوب فيه في جماعته السوسيوثقافية، أنه يتعلم العنف بنفس الطريقة التي يتعلم فيها الكلام أو الاعتدال في الجلوس».²

وشخصية الطفل تشكلها اتصالاته بالأسرة، وأن توفق الطفل أو عدم توفقه يتوقف بدرجة كبيرة على التنشئة الاجتماعية التي يتلقاها من أسرته بهدف نمو شخصيته نمواً متناسقاً وسليماً.

وعليه فإن للأسرة أهمية كبيرة في تشكيل شخصية الفرد، وبناءها كما أنها مصدر لتكوين البواعث الاجتماعية التي تكتسب من خلال تلقين الأبوين لأبنائهم، والتي تشير إلى محركات سلوك الأفراد وتقويم هذا السلوك بإبراز ما هو سلبى و ما هو ايجابى، وفيها تزرع بذور الصحة النفسية أو الاضطراب النفسى والاجتماعى.

فإذا أردنا لأبنائنا النشأة الطيبة، فلا بد من أبوة طيبة، و عليه فلا بد «أن نتذكر و نحن ننشئ أطفالنا أنهم سيكونون في المستقبل آباء يتصفون بالاتزان و الطمأنينة، و بروح الحرية و الايجابية و الشعور بالمسؤولية، و الرغبة في التضحية مع الثقة بالنفس و الاعتزاز بالذات، هذا إذا أردنا لهم ذلك، و من ثم يتطلب الإعداد

¹ . Zerdouni Nafissa, enfant d hiver éducation de l enfant en milieu traditionnel algérien coll. :Domaine maghrébine ,ed :Froncois Mespéro ,Paris,1982.p168.

² . Boiley(Roland),**Violence et agression**, time life international. 3 Nederland, 1977, P45

للأبوة التبصير عن طريق التوعية بمعناها و واجباتها و تكوين المهارات و العادات الأساسية لها»¹.

ولا ننسى أن أبناءنا الآن هم آباء في المستقبل، و تحذر الإشارة هنا إلى أن هؤلاء سيسلكون في تربية أبناءهم نفس مناهج السلوك التي نشئوا عليها.

« فهناك من الآباء من عانى أثناء طفولته من تعسف الأبوين وقسوتهما عليه، لذا فهو يقوم بالدور نفسه مع أبنائه فيقسو عليهم كما قسا أبويه عليه»².

فهو يعتمد على نموذج تربوي استمدته من الثقافة التنشئية التي نشأ عليها، ومن اكتساب لخبرات سابقة فيعيد إنتاجها.

« ومن ضمن أنواع المحيط الأسري و التي صنفها جاك لوتراي إلى ثلاثة(مرن، متشدد و ضعيف البنية) . يبقى الأول و هو الأكثر ارتباطا بالطبقتين المتوسطة و الراقية هو الذي يكون له أفضل تأثير في العمل المدرسي، أما من بين المحيطين الآخرين و المرتبطين أكثر بالأسر العاملة، فالأقل امتيازاً ليس هو الأكثر سلطة، بل هو ذلك الذي لا يتيح للطفل أبداً من خلال خطورته استباق نتائج تصرفه، الذي يمكن أن يقبل أو يرفض تبعاً للحظات، و هذه الحالة تعيق صيرورة الملائمة الضرورية لتعليمات مدرسية جديدة»³.

ولهذا لا بد من الأخذ بعين الاعتبار أهمية المناهج التربوية التي تستعملها الأسرة في تنشئة أبنائها وذلك من خلال الآثار المترتبة عنها، و التي تورثه قيماً وسلوكيات معينة للتعامل مع الآخرين خاصة فيالوسط المدرسي.

- فما هي هذه السلوكيات التي تعيق عملية تفاعل الطفل المراهق مع الآخرين، و التي تؤثر تأثيراً سلبياً على شخصه؟

2. محمد سلامة محمد غباري: أطفالنا احتياجاتهم و مشكلاتهم و طرق العلاج، المكتب الجامعي الحديث، مصر، ص 329.

3. محمد عبد الرحمن عدس: بناء الثقة و تنمية القدرات في تربية الأطفال، دار الفكر للطباعة والنشر، الأردن، طبعة 1998 ص20.

4. عبد الكريم غريب: سسيولوجية المدرسة، منشورات عالم التربية، الطبعة 1، الدار البيضاء، ص163.

التذبذب في المعاملة

« يرى هاد فيلد أن الشدة الثابتة خير من الين و التذبذب في معاملة الأبناء»¹.

إذ تقلب المعايير و تذبذبها من شأنه إعاقه التنشئة الاجتماعية، فالطفل الذي يطالبه الأب بسلوك معين في حالة ما، ثم يطالبه في الحالة تفسها بسلوك معاكس يشعر بالحيرة و القلق و يفقد الإحساس بالصواب و الخطأ، و يصبح لا يستطيع التفريق بين ماهو صحيح و ما هو خاطئ، و لذلك فانه من واجب كل أسرة أن تنتهج السياسة الثابتة و الحزمة في تربية أبنائها لتساعدهم فيما بعد للوصول إلى القرارات الصائبة والمناسبة.

إذ أن أساليب المعاملة الوالدية من أهم العوامل التي تؤثر على التوافق النفسي لدى الأطفال، بما في ذلك ظهور العدوانية على سلوكياتهم.

ولا يعني هذا أن الأسرة لابد أن تضغط على أبنائها، لأن من شأن الضغوط الوالدية تعزيز السلوك الغير الاجتماعي لديهم، و هو ما تؤكد دراسة أزوز و آخرون 1995: « إلى فحص علاقة المزاج الاكتئابي لدى الأطفال الصينيين بالضغوط الأسرية و المدرسية، و قد توصلت الدراسة إلى نتائج أهمها: أن الضغوط الأسرية و المدرسية ترتبط بعلاقة موحية بالاكتئاب لدى أفراد العينة، كما أوضحت النتائج أيضا أن هناك علاقة موحية بين مستوى أعراض الاكتئاب و مستوى السلوك العدواني لدى هؤلاء الأطفال»².

فإذا كان الطفل المراهق ينادي بالاستقلالية و فرض الذات أمام الضغوطات الأسرية، فمن شأن ذلك : « أن ينتج صراعا أو ما يعرف بفجوة الأجيال

5. محمد سلامة محمد غباري: أطفالنا احتياجاتهم و مشكلاتهم و طرق العلاج، المكتب الجامعي الحديث، مصر، ص100.

1. سوسن شاكر مجيد: العنف والطفولة: دراسات نفسية، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2008. ص132.

الذي يشير إلى شكل الصراع بين الآباء و الأبناء.....و العلاقة القائمة على أساس السن تحمل صورة النزاع بين الأجيال ¹، لتصبح العلاقة بين الأبناء والآباء معقدة.

وغالبا ما يلجأ الوالدين في مجتمعنا الجزائري إلى استعمال القسوة وحتى العنف للضغط على أبنائهم، فتلجأ إما إلى العقاب البدني أو النفسي ليأخذ شكل تسلطي .

ولعل من أخطر مظاهر الاختلافات السوسولوجية بين الآباء و الأبناء اتجاه السيطرة:

السيطرة في المعاملة:

يراد بالسيطرة فرض الوالد و الوالدة رأيه على ابنه، ويتضمن ذلك الوقوف أمام رغباته التلقائية أو منعه من القيام بسلوك معين، وهما يستخدمان أساليب متنوعة في ذلك تختلف خشونة و نعومة التهديد المختلفة من خصام أو ضرب أو حرمان

وفي الجزائر تمنح الثقافة للأب قدرا كبيرا من التسلط على الطفل، فهو الأمر النهائي في البيت والضابط لسلوك الطفل و تدريبه على الامتثال و التطابق مع التقاليد و النظام الأسري، ذلك لأن قسوة الآباء على أبنائهم نابعة أساسا من تأثير التقاليد و العادات، إذ أن الأسرة الجزائرية من مبادئها «أن تمنح و تتقبل تسلط وتحكم الأب المطلق»².

إذ كثيرا ما يستعمل الوالدين أسلوب الضغط للتحكم في أبنائهم فيستعملون أساليب متنوعة كأسلوب الضرب والشتيم و غيرهم، التي تزيد من إحباط المراهق و تجعله عرضة لمثيرات العنف، فالأبناء لا يحتاجون لمثل هذه

2. donfut Claude, Sociologie des génération ,ed Puf ,Paris 1988.p92.

3 .Mr Boutefnouchet ,la famille algérienne ,évolution et caractéristique, Alger, SNED 1982.p61.

الأساليب لطاعة الأولياء، بل عكس ذلك يحتاجون إلى سعة الصدر و الثبات في المعاملة والنصيحة.

وفي دراسة ستيل 1974 و التي هدفت لمعرفة فيما إذا كانت هناك علاقة بين انتقال العنف بين الأجيال من الآباء الأبناء، فقد بينت نتائج الدراسة أن هناك علاقة قوية، ذلك لأن جميع الآباء الذين يمارسون العنف في أسرهم قد تعرضوا أيضا للانتهاك و العنف في مرحلة طفولتهم .

«و هنا تتحد دورة العنف من جيل لآخر، من خلال أن الأطفال اللذين يتعرضون للعنف داخل أسرهم أو يشاهدونه بين الأبوين يصبحون أكثر احتمالية لأن يكونون أحداث منحرفين أو يمارسون العنف داخل أسرهم بالمستقبل و هو ما تؤكدته دراسة بارنت وآخرون

1975 . owens et straus 1981 . hanner walker 1979 . Oelles 1980

و دراسة ميلرو شالاس 1981 على عينة من الآباء اللذين تعرضوا للعنف في طفولتهم، أن الآباء اللذين مارسوا العنف على أسرهم جاءوا من أسر تعاني مشكلات عديدة، وكانت نشأتهم سيئة، ويعانون من عدم الاستقرار العاطفي، وإنما أساليب التسلط والقسوة تزيد فقط من تمرد الأبناء وشدة العنف لديهم، إذ أن الاحتجاج عن المعاملة السيئة لا يؤول إلى نتيجة سوى المعاملة بالمثل أو بالأسوأ من ذلك، و هو ما يذكرنا بقول العلامة ابن خلدون أن العنف يسبب إذلال النفس و يؤدي إلى اللجوء للأخلاق و العادات الذميمة.

و قد تستعمل السلطة الوالدية طرق أخرى أكثر تفهم، لكن تبقى دوما متسلطة كأن تستعمل أسلوب الحوار و التفهم، و هو الاتجاه المرن الشكلي، يعتمد على الحوار الشكلي مع محاولة فرض الرأي بطريقة معينة وبإصرارها على إقناع أبناءها، و هو ما نسميه أيضا بأسلوب الديمقراطية المزيفة أو الحوار الشكلي الذي يريد من وراء المناقشة فرض الرأي بطريقة غير مباشرة، "وفي بعض الأحيان يتخذ الأولياء في الأسرة الجزائرية هذا النوع من التسلط لإصرارهم على العادات و الأفكار التقليدية، سعيا منهم بذلك إلى الحفاظ على العادات الاجتماعية بكل ما تحتويه حرصا على توريثها من جيل إلى آخر"، حتى وإن كانت تحمل في طياتها عادات سيئة

، إلا أنه على الأولياء عدم تجاهل أن التنشئة الاجتماعية في حد ذاتها خاضعة لعملية التغيير الاجتماعي و عليه ينبغي الاهتمام بظروف و واقع الحياة الاجتماعية عند تنشئة أبناءنا لتحقيق اندماجهم الاجتماعي، أي لا يجب أن نفرض عليهم عادات و تقاليد لا يتقبلها واقعهم، و حتى لا يصبح الإصرار على الموقف التسلطي و فرض الرأي عامل تهديمي.

و يصبح الطفل مملوك حسب « ارياس بشأن الأسرة الكلاسيكية، فهي برأيه تجسيد طريقة للدلالة possession hereditary و بالتالي فان الطفل الذي لا يوجد و لا يحيا لذاته يشكل جزءا من مختلف التملك الوراثي، و من أشكال هذا التملك فأكد أنه يرث قيما معينة و سلوكيات و طريقة معينة للعيش ضمن الآخرين إلا أن فردانيته الاجتماعية تظل حبيسة هذا المورث»¹.

ومنه يجد المراهق نفسه داخل فضاء ضيق لا يستطيع التعبير فيه عن رغباته بحرية لينطلق بعدها إلى المدرسة بميراث أسري تعسفي تملكي، فكيف يتعامل مع زملائه و معلميه بهذا الميراث؟

وفي دراسة السوسن شاكر مجيد 2008، حول العنف و الطفولة وجدت أن العوامل التي تكمن وراء السلوك العدواني علاقة موحية دالة إحصائيا بين الرفض ألوالدي من قبل الأب و الأم، و ارتفاع مستوى السلوك العدواني.

ضف إلى ذلك العديد من الدراسات مثل دراسة كارلن 1996 و إلى تؤكد هي الأخرى على أن السلوك العدواني للأطفال يرجع أيضا إلى المعاملة الوالدية الخاطئة، والتي يسميها ابن خلدون بالملكة و هي «التي تعبر عن الطريقة التي تطبع بها البنيات الاجتماعية في عقولنا بطريقة لا شعورية و الملكات لا تحصل الا بتكرار الأفعال لأن الفعل يقع أولا و تعود منه للذات صفة ثم تتكرر فتكون

حالا، و معنى الحال أنها صفة غير راسخة ثم تزيد التكرار فتكون ملكة أي صفة راسخة».

1. محمد سلامة محمد غباري: أطفالنا احتياجاتهم و مشكلاتهم و طرق العلاج، المكتب الجامعي الحديث، مصر، ص163.

و على العموم فان جل الدراسات العربية تبين أن مجتمعاتنا مجتمعات تسلطية تسعى إلى بناء شخصيات تميل إلى الخضوع و التبعية. فالأب يريد أن يكون له ابنا يتصرف بنفس تصرفاته و حسب أفكاره و رغباته و الأم تريد لها بنتا تسير وفقا لما تمليه عليها ، و هو ما يعزز في شعور الأطفال حب الاستقلالية حتى وإن كان بطرق عنفوية، و في بعض الأحيان نجد من الوالدين من يرغب بالانفراد بتنشئة أبنائه .

ولهذا فان ابن خلدون يرى أن « من كان مرباه بالعسف و القهر من المتعلمين سطر به القهر و ضيق على النفس انبساطها و ذهب بنشاطها و دعاه إلى الكسل و حمل على الكذب و الخبث و علمه المكر والخديعة لذلك و صارت له هذه عادة و خلقا وفسدت معاني الإنسانية التي له من حيث الاجتماع و التمدن و كسبت النفس عن اكتساب الفضائل و الخلق الجميلة»¹

كما يؤدي الإفراط في استخدام العقاب إلى فقدان الطفل لشخصيته كما يصبح الطفل متمرد يميل للتخريب و التدمير كما يفقده الإقدام على الانجاز.

سيطرة أحد الأولياء على التنشئة :

قد تأخذ هذه السيطرة شكل انفرادي كان يستحوذ أحد الوالدين بدور التنشئة، و هو ما نلاحظه في مجتمعنا الجزائري الذي كان يوكل تربية الابن للأب و تربية البنت للأم، فتسعى هذه الأخيرة بكل الوسائل والطرق إلى تنشئة ابنتها و تستعمل في الكثير من الأحيان أسلوب التحذير و الترهيب من مخالطة الرجال و تربط ذلك دائما بشرف العائلة و سمعتها دونما تربية جنسية صحيحة تليق بسنها و مستواها، بل بالعكس فهي تتلقى « تربية جنسية جد صارمة إذ منذ سنواتها الأولى تمنع من مخالطة الذكور و يحاط بينها وبينهم بستار من العار لا يمزق إلا يوم

2. محمد سلامة محمد غباري: أطفالنا احتياجاتهم و مشكلاتهم و طرق العلاج، المكتب الجامعي الحديث، مصر ص 538-539 .

زواجها، و تعمل الأم على نصحتها و تحذيرها من الرجال بشتى الوسائل والأساليب مستشهدة بالمثل الثقة في الرجال مثل صب الماء في الغربال»¹.

وتستعمل الأم في ذلك جميع وسائل الضبط بما فيها الضرب. و يبقى دائما وراءها هاجس الإطاحة بسمعة العائلة وشرفها.

أما من ناحيته فالأب يسعى دائما إلى تعزيز صفة الرجولة في ابنه بإعطائه مسؤوليات تفوق سنه وأعباء أكبر منه لا تتفق مع استعداداته وقدراته، «وعندما يحنو الطفل الذكر إلى تبني سلوك الوالد فلأن هذا الأخير يمثل النموذج الاسمي بالنسبة إليه، وكما يرتضيه المجتمع، و الشيء نفسه ينطبق على الأنثى عندما تحذو حذو والدتها، وعندما يحدث تعارض ما بين الوالدين على مستوى سيطرة أحدهما فان ذلك يخلق صراعا لدى الطفل من حيث اختيار النموذج المثل وهو الأمر الذي قد يحنوبه باتجاه مسلكيات غير سوية»².

كما تخطأ بعض الأسر في معاملة الابن معاملة مختلفة عن معاملة البنت، مما يكسب الابن غرورا عنيفا ضد أخواته وينمى لدى البنت الشعور بالكراهية التي تصل في بعض الأحيان إلى أفعال دامية نتيجة هذا الكره، كما أنه من شأنه إنماء مشكلة عدم الانتماء أو عدم الغيبة فيه كطفل داخل الأسرة ، «ويترتب على ذلك الكثير من الإضرابات السلوكية مثل: السرقة والتخلف الدراسي أو السلوك المنحرف أو السلوك العدواني والعصيان والشعور بالاضطهاد ومشاعر العداء لكل من يمثل السلطة»³، أكان ذلك في الأسرة أي الولدين والإخوة أما في المدرسة بالنسبة للمعلمين أو التربيين والتي تشعر الطفل بالرفض وعدم القبول .

¹ Zerdouni Nafissa, enfant d hiver education de l enfant en milieu traditionnel algérien ,coll. :Domaine maghrébine ,ed :Francis Mespero, Paris,1982.p189..

2.عبد الكريم غريب: مسيولوجية المدرسة، منشورات عالم التربية الطبعة 1،الدار البيضاء،ص171.

3. محمد سلامة محمد غباري: أطفالنا احتياجاتهم و مشكلاتهم و طرق العلاج، المكتب الجامعي الحديث،مصر ، ص111.

الرفض الأسري :

كثيرا ما تعودنا إيجاد عناوين مثل الرفض الوالدى و الذي يقصد به رفض الأولياء لأحد أبناءهم ، وفي هذا الصدد نريد التكلم عن الرفض الأسري الذي هو من نتائج سوء العلاقة بين الوالدين، أو عدم رضي أحد الطرفين بالآخر لينتقل هذا السلوك من رفض علاقة الأولياء ببعضهم البعض إلى رفض أبناءهم «إذ يعبر هذا الاتجاه الوالدى في التنشئة عن رفض أحد الوالدين للطفل وإشعاره أنه غير مرغوب فيه وغير محبوب من والديه ولا ذا قيمة في الأسرة، كما يعبر عن مدى كراهية الوالدين للطفل وعدم قبول وجوده في الأسرة»¹. ما يدعو الأبناء للإحساس بعدم الانتماء و لعله من اخطر ما يوجه سلوك الفرد نحو العنف ويساهم في التفكك المعنوى للطفل عن والديه و بهذا يقوم بأنواع من السلوك يقصد من وراءه لفت الانتباه» كالقيام بسلوك يتميز بالمقاومة و العدوان و الثورة و العناد، فكثيرا ما نجد هؤلاء الأطفال مصدر تعب المدرسة و المنزل و ليس من السهل إخضاعهم للسلطة»².

ضف إلى ذلك العديد من السلوكات التي تدل على حقدهم و عدم رضاهم، مثل النشاط الزائد سواء كان داخل القسم أو في المنزل، و حتى كثرة تخريب الأدوات المدرسية و أثاث المنزل.

الحالة الاقتصادية للأسرة و العنف:

أشارت دراسة سميث و آخرون 1974 أن معظم الأطفال الذين يعانون من مشكلات ينحدرون من أسر تعاني مشاكل مادية، اجتماعية و عاطفية، فقد كشفت هذه الدراسة أن الأسر التي تعاني من مشاكل متعددة و يعاني أطفالها من الانتهاك و الإهمال عن وجود علاقة قوية و واضحة بين المكانة الاجتماعية و الاقتصادية و بناء الأسرة و الانحراف الاجتماعي و الضغوطات الاجتماعية.

4. عامر مصباح: التنشئة الاجتماعية و السلوك الانحراف ص 101.

5. صالح حسن الداهري: أساسيات علم الاجتماع النفسي التربوي ونظرياته، دار مكتبة الحامد للنشر و التوزيع، عمان، ص 277.

و الفرد عندما لا تشبع حاجاته الأساسية بطريقة مشروعة فهو يسعى إلى إشباعها بطرق أخرى حتى وإن كانت غير مشروعة وهو بداية الانحراف، وفي هذا السياق "أكدت الإحصائيات الفرنسية أن الغالبية العظمى من بين (66.500) من الشباب دون سن 18 سنة الذين قدموا للمحاكمة في عام 1980 تنتمي إلى طبقات فقيرة، كما أشارت الإحصائيات التي أجريت في فرنسا ما بين (1844-1885) إلى ارتفاع معدل الإجرام كلما قل عدد الودائع في صندوق التوفير وكلما زاد عدد المشمولين بالرعاية الاجتماعية"¹.

و«الآباء في الأسرة الفقيرة يعانون من قهر الفقر وإحباطه فأنهم ليسوا على استعداد لتحمل المزيد من ضغوط أبنائهم، ولذلك فإن طلباتهم لا تقابل بلا بالرفض العنيف الذي قد يصل إلى الإيذاء البدني إذا ما تكررت الطلبات.

و هو ما يولد العنف لدى الأبناء إذ تتولد لديهم مشاعر الإحباط و يتراكم لتنفجر لأن العنف حسب دولارد Dollard سلوك انعكاسي، إذ يعتبر أنه "كلما كان الحرمان قويا كانت شدة الإحباط كبيرة وقوية، ويكون العدوان موجها نحو منبع المنع (auto agression) و يعتبر العدوان في حد ذاته عملية تطهير النفس من الإحباط"².

كما قد يتعدى إلى الآخرين، إذ أن للفقراء كذلك صلة غير مباشرة بجرائم الاعتداء على الأشخاص، فحالة الضيق التي يعاني منها الشخص تؤثر على نفسيته، و قد تدفعه مع اليأس إلى بعض أفعال الاعتداء على الأشخاص، و للفقراء صلة غير مباشرة بجرائم الاعتداء على العرض³.

1. محمد عبد الله الوريكات: مبادئ علم الإجرام، دار وائل للنشر و التوزيع، الأردن، الطبعة الأولى 2008. ص 338.

2. Michaaud yves : la violence , coll que sais- je? 3 éd puf , paris, 1992. p85.

3. عبد الرحمن العيسوي: الذكاء و الجريمة، دراسة في علم النفس الجنائي، منشورات الحلبي، الطبعة الأولى 2008. ص 42.

ضف إلى ذلك فانه يرتبط بظواهر عديدة غير مباشرة تنتهي بدورها إلى سلوك سبيل الجريمة.

بالإضافة أنه يقترن بسوء التغذية التي تؤثر على الصحة النفسية و الجسمية للفرد و حتى العقلية، فهو يشكل عقبة تحول بين الأبناء و متابعة دراستهم فينقطعون عن الدراسة، كما أن تدني المستوى المعيشي يزيد من تدني المستوى الثقافي، ويدفع بدوره لارتكاب الجريمة.

و هو ما يؤكد (Bonjer) و الذي يعتبر أن "الظروف الاقتصادية السبب الأساسي في حدوث الجريمة، حيث اعتبر أن اختلال النظام الاقتصادي سبب كل الجرائم و مولدها، و هذه العوامل الاقتصادية الرئيسية لاشك أن تترك آثارها الغير مباشرة على مختلف المنظمات الاجتماعية القائمة في المجتمع، و أهمها البيت والمدرسة"¹.

و يرى أيضا أن طابع الجريمة هو العنف، و «صنف هذه الجرائم إلى ثلاث تصنيفات، وهي الجرائم الاقتصادية، جرائم العنف و الجرائم السياسية، و أضاف إليها الجرائم الجنسية التي أرجعها إلى استغلال أو استبعاد الجنس للجنس الآخر، وأشار إلى أن كلا من هذه الجرائم تمثل انعكاسا مباشرا للأوضاع الاقتصادية، النفسية و الاجتماعية....»².

إذ يتأثر سلوك الأفراد بمعطيات و الظروف الصعبة المتعلقة بالسياق الأسري، و بالمشاكل الصحية و بالوضع السوسيو اقتصادي المتدنية للأسرة، و هو ما ينعكس في الكثير من الأحيان على سلوك الأطفال ليتفاعل بعداية مع المحيط الذي يعتبره سببا في ظروفه القاسية. فيسعون غالبا إلى طريقة عنيفة في المدرسة و ذلك لجلب انتباه الآخرين.

¹. عبد الرحمن العيسوي: الذكاء و الجريمة، دراسة في علم النفس الجنائي، منشورات الحلبي، الطبعة الأولى 2008. ص 42.

². غني ناصر حسين القريشي: علم الجريمة، دار صفاء للنشر و التوزيع، عمان 2011. ص 195.

لهذا يبرز تحكم الظروف الاقتصادية على الجانب النفسي للمراهق، «فال فشل في الدراسة مؤشر على ضعف شخصية الطفل و عدم قدرته على الخضوع للضوابط الاجتماعية، بالإضافة إلى أنه مؤشر على احتمال وجود أسباب داخلية سيئة قد تؤدي به إلى سلوك سبيل الجريمة إذا لم يتم علاجها»¹

و بالرغم من كثرة الأبحاث التي تؤكد على علاقة الفقر بالجريمة إلا أن البعض الآخر يشكك في هذه العلاقة. فالعالم الأمريكي سود ودند وغيره من العلماء يؤكدون على أن الجرائم ليست حكراً فالأغنياء أيضاً يرتكبون الجرائم بنفس قدر الجرائم التي يرتكبها الفقراء وهي ليست لها علاقة بالفقر. وهذا لا يعني أن الجريمة ليست لها علاقة بالفقر وإنما ليس الفقر وحده سبب في حدوث الجريمة، بل أنه هناك عوامل أخرى لها علاقة بالفقر وهي سبب حدوث الجريمة، فالعلاقة مباشرة وغير مباشرة كالمنطقة السكنية، ضيق المسكن وكثرة الأبناء وغيرها.

و بالإضافة إلى العامل الاقتصادي نجد أنه للمنطقة الصناعية هي الأخرى كما أكدت الدراسات والأبحاث لها دور في ظهور العنف "فالمنطقة السكنية التي يرتفع فيها المستوى الثقافي والاجتماعي نجد أبنائها أكثر التزاماً والعكس بالنسبة للمنطقة التي ينخفض فيها المستوى الثقافي والاجتماعي فالعنف يكثر عادة في الأحياء الشعبية أكثر منه في الأحياء الراقية بسبب كثرة رفقاء السوء لهاته الأحياء دون غيرها، حيث يكون تعلم العنف سهلاً و مطلباً ضرورياً لحماية الطفل داخل مجموعته أو خارجها، كما يعد من الأشياء المستحبة والمقبولة، فالطفل الأكثر عنفاً تصبح لديه حق الزعامة أسبقيتها دون رفاقه الآخرين".²

الوضعية السكنية و نشأة العنف:

يعكس مسكن الأسرة مستواها الاجتماعي إلى حد بعيد، و هو ما يذكرنا بالأعمال كل من بارك Park (1864-1944) و ارنست برجس Burges (1886-1951) اللذان يوزعان المدن إلى 5 مناطق سكنية منها ما يسمى بمنطقة التحول وهي التي

¹. محمد عبد الله الوريكات: مبادئ علم الإجرام، دار وائل للنشر و التوزيع، الأردن، الطبعة الأولى 2008، ص353.

². مزور بركو: العنف عند الأطفال و أشكال العقاب الممارس على الطفل العنيف، ص30.

يسكنها الفقراء فقط، وهناك مناطق سكنية للأغنياء، وتعتبر هذه الصورة "صورة متغيرة تضعف فيها العلاقات الاجتماعية الأولية و تحل محلها العلاقات الثانوية، وتتباين فيها الخدمات و يقل الضبط الاجتماعي إلى درجة كبيرة و يسود فيها التفكك الاجتماعي الذي يقود إلى الجرائم والانحرافات بمختلف أنواعها.¹

وهنا لابد أن نؤكد على جانبين هامين هما:

الجانب المورفولوجي في المسكن و الجانب الفيسيولوجي (أي الخارجي).

1- الجانب المورفولوجي: وهنا يؤكد Neighbour Hood «أن الجناح أو السلوك الإجرامي هما حصيلة تفاعل طويل يحدث بين الفرد و بين ظروف بيئته من جهة و بين أفراد جماعته الأولية التي يتعامل معها أو التي يتصل بها من خلال حياة الجماعة من جهة أخرى. و من أبرز هذه الجماعات الأولية الأسرة، جماعة اللعب و العصابة....»²

و قد أكد كليفورد شو ومكاي كيف يلعب المنطقة السكنية دورا كبيرا في الجريمة وذلك في «دراسة العلاقة بين عدد من المتغيرات المرتبطة بالمجتمع المحلي في المدينة و انحراف الأحداث بالاعتماد على الإحصائيات الرسمية للأحداث المنحرفين....»³.

بحيث أكدت أن «العلاقات الجيدة و الصداقات بين الناس تعمل بوصفها ضوابط اجتماعية ضد الجريمة و الانحراف و يسود التنظيم الاجتماعي و العكس صحيح إذا لم توجد مثل تلك العلاقات و الصداقات فان التفكك الاجتماعي هو الذي سوف يسود»⁴.

¹. غني ناصر حسين القريشي: علم الجريمة، دار صفاء للنشر و التوزيع، عمان 2011، ص 281.

². محمد سلامة محمد غباري: أطفالنا احتياجاتهم و مشكلاتهم و طرق العلاج، المكتب الجامعي الحديث، مصر، ص 254.

³. غني ناصر حسين القريشي: علم الجريمة، دار صفاء للنشر و التوزيع، عمان 2011، ص 215.

⁴. غني ناصر حسين القريشي: علم الجريمة، دار صفاء للنشر و التوزيع، عمان 2011، ص 215.

فعدم التنظيم الاجتماعي و البيئة الفاسدة تشجع على ارتكاب الجريمة، كما أن من شأن ضيق المسكن أن يكون دافعا للعنف و سلوك سبيل الجريمة إذ «يؤدي ضيق المسكن إلى عدم تمكن الأبناء من أداء واجباتهم المدرسية، مما يترتب عليه الفشل في الدراسة، فيلجئون غالاً الشوارع حيث يكون الاتصال هناك برفاق السوء، وقد يؤدي بهم ذلك إلى تكوين نواة عصابة إجرامية»¹، هذه الأحياء تساهم على نشر القيم الغير الأخلاقية.

تعريف المؤسسة:

مؤسسة تربوية اجتماعية خطط لها المجتمع بطريقة مقصودة لتلبية إحدى حاجياته الأساسية وهي التربية المدرسية لإعداد جيل المستقبل إعداداً متكاملًا و تنشئتهم من خلال إكسابهم معارف جديدة. وأصبحت مثلها مثل الأسرة ذات أهمية كبيرة في عملية التنشئة.

«فهؤلاء التلاميذ و التلميذات الذين يجلسون في الصفوف هم قادة المستقبل سوف يكون منه السياسي و العالم و القاضي والمدرس و كل منهم يمكن أن يؤثر في محيطه المباشر، أو في وطنه أو في ما هو أبعد من حدود وطنه. يمكن أن يكون منهم المجرم ومكافح المجرم، الأناني و المضعي بحياته في سبيل الإنسانية و القائد و التابع... الخ»²

فالمدرسة تسعى إلى إعداد هؤلاء إعداداً متكاملًا كما تسعى إلى بناء الفرد الصالح و تنمية شخصيته و يشترط لقيام العملية التدريسية تعاون كل الأطراف لأنها عملية تفاعلية يتم تنفيذها في إطار سياق تربوي و بيداغوجي للكشف عن قدرات التلاميذ وتوجيهها التوجيه السليم.

ضف إلى ذلك تشجيع هؤلاء للابتكار و إعدادهم لمواجهة التغيرات الاجتماعية و تكيفهم مع مجتمعاتهم و كذا تحقيق ذواتهم لتحمل المسؤوليات و مواجهة الأعباء.

¹. محمد عبد الله الوريكات: مبادئ علم الإجرام، دار وائل للنشر و التوزيع، الأردن، الطبعة الأولى 2008، ص350.

1. صالح حسن الداهري: أساسيات علم الاجتماع النفسي التربوي و نظرياته، دار مكتبة الحامد للنشر و التوزيع، عمان، الطبعة الأولى 2011، ص75.

و مما يميز المدرسة عن باقي مؤسسات التنشئة الاجتماعية «أنها تمثل مركزا للعلاقات الاجتماعية المتداخلة و المعقدة التي تتخذ مدخلا للتفاعل الاجتماعي حيث يتفاعل جماعات المدرسة من مدرسين و طلبة وفقا لدستور أخلاقي»¹

و لقد انتشرت في الآونة الأخيرة في هذا المجال مجموعة من السلوكيات الانحرافية اتخذت أبعادا مختلفة , و لاشك أن من وراء هذا التزايد عدة أسباب أدت إلى تشكيله داخل المدرسة. فما هي آليات تشكيله في المدرسة؟

العنف في المدارس وآليات تشكيله:

تطور مصطلح العنف المدرسي خلال السنوات الأخيرة و أصبحت المدارس مسرحا للعنف.

إلا أن مثل هذه السلوكيات تعبر عن «تناقص واضح و هو أن المدرسة التي تقوم بدور أساسي في تقويم سلوك المتعلمين و تعديل اتجاهاتهم و إعدادهم أخلاقيا و نفسيا و اجتماعيا من أجل الاعتماد على أنفسهم و ضبط غرائزهم و تطوير شخصيتهم أصبحت مصدرا للعنف و مجالا للصراع و مؤسسة لتعلم العنف و الاعتداء...»²

و ما هو جدير بالذكر أن المدارس فشلت في أداء مهامها و من بين آثار هذا الفشل «عدم قدرة المدرسة على الوقوف ضد أساليب السلوك الوافدة و الشائعات و الدعايات الضارة. يعني أن بغض التلاميذ سيكونون فريسة لأخطارها ما يترتب عليه اتجاههم نحو الإدمان و الفساد و السرقة و ارتكاب مختلف الجرائم و ربما خيانة الوطن»³.

ولهذا استدعى الأمر انتباه الباحثين و التربويين و حتى السياسيين إلى الوقوف لتبصير الجهات المعنية بآثار هذا العنف و ماله من أخطار وخيمة، و كان الداعي

¹. ندى عبد الرحيم المحامدة: الجوانب السلوكية في الإدارة المدرسية, الطبعة الأولى، دار صفاء للنشر، عمان، 2005، ص45.

². محمد الشهب: المدرسة و السلوك الانحرافي، الطبعة الأولى، الدار البيضاء، 2000، ص99-100.

³. غني ناصر حسين القرشي: علم الجريمة، دار صفاء للنشر و التوزيع، عمان، 2011، ص251.

للبحث عن الأسباب الكامنة وراء ذلك لمحاولة الحد منها. و دراستنا هذه تحاول الكشف عن آليات تشكيله في هذا الوسط التربوي.

و كشفت دراسة محمد عامر عن بعض الأسباب التي تساهم في ظهور عنف التلاميذ داخل المدرسة و منها غياب القدوة وأشكال السيطرة الزائدة، و سيطرة الخوف على التفاعل و العلاقة بين المدرس و التلميذ و ضعف إدارة المدرسة..¹ إذ يؤثر سلوك الواحد على الآخر.

«...لذا فإننا عندما نحاول أن نقيم أي ظاهرة في إطار المدرسة فمن الخطأ بمكان أن نفصلها عن المركبات المختلفة المكونة لها، حيث أن للبيئة جزءا كبيرا من هذه المركبات»².

فلا يمكن إغفال ذلك العنف الذي يتلقاه التلميذ في المدرسة من خلال سوء المعاملة من طرف المعلم أو العاملين بالمدرسة بدءا بالمدير. مما يجعل الجو التربوي عنيف و غير مشجع على التحصيل الجيد.

من هنا نستطيع ملاحظة أن العنف المدرسي يرتبط بعدة مسببات متداخلة منها ما يسهم بدرجة أكبر من غيرها في إحداث هذا العنف و أهمها الأسباب المرتبطة بشخصية المراهق نفسه، و ما يرافقها من اضطرابات انفعالية و تلك النزعة نحو التمرد و حب التغيير وغيرها، و مع غياب التوجيه الأسري و المدرسي و عدم ثقة الطلبة بالمعلمين و المؤطرين و عدم الاهتمام بمشكلات الطلبة و قلة الأنشطة، و غيرها من المشاكل البيداغوجية التي من شأنها أن تعزز سلوك اللامبالاة و تؤدي إلى انحراف التلاميذ و عدوانيتهم.

ليصبح العنف المدرسي ناتج التجربة المدرسية و هو ما تؤكد وزارة المعارف و الثقافة عام 1997 إن السلوكيات العنيفة هي بتاج المدرسة ، و ذلك من خلال قلة الضبط الاجتماعي و نقص واضح في إعداد المعلمين لمثل هذه المسؤولية و ضعف

¹ . مجدي أحمد محمود إبراهيم وآخرون: العنف في المدرسة العربية، دراسة حالة، المكتبة العصرية للنشر والتوزيع، مصر. ص 84.

² . سوسن شاكر مجيد: العنف و الطفولة. دراسات نفسية، الطبعة الأولى، دار صفاء للنشر و التوزيع، عمان، 2008. ص 279.

العلاقة بين التلميذ و المعلم و هو ما يؤكد ابن خلدون في مقدمته إذ يرى أنه إذا كانت العلاقة بين المربي و المتعلم قائمة على القهر والعقاب فإنها تؤدي إلى الانحراف، و مع ذلك فلا يمكننا إغفال دور جماعة الرفاق و مالها من تأثير على شخصية المراهق و كذا وسائل الإعلام.

و مما يتضح لنا أن الآراء التي تناولت أسباب العنف في المدرسة بعضها ركز على البيئة الخارجية للمدرسة، و الآخر اهتم بالبيئة الداخلية و ما يحرم فيها من علاقات و في دراستنا الاستطلاعية حول ما هي آليات تشكيل العنف داخل المدرسة استنتجنا ما يلي:

نتائج الدراسة الاستطلاعية:

يلاحظ أن العنف داخل المدرسة الجزائرية بدأ يأخذ أشكال جديدة إذ يلاحظ أن نظام المدرسة بكامله توجد فيه علاقات متوترة طوال الوقت.

و مما يزيد من خطورة هذا التوتر أن العنف التلاميذ لا يقتصر الآن على التخريب و التحطيم و الضرب و غيرها فهو يتعدى إلى أبعد من ذلك إلى مستوى محاولة القتل و تعاطي المخدرات.

إذ نجد في متوسطة بونعامة الجيلالي بولاية البليدة و ذلك في أقسام السنة الرابعة لسنة 2011-2012 عدة حوادث عنف أدت إلى تسبب بعض التلاميذ بجروح بالغة نتيجة تعرضهم لمحاولات قتل من طرف زملائهم، و يفصح هؤلاء أن السبب الرئيسي الذي أدى بهؤلاء إلى مثل هذه السلوكات هو تعاطي المخدرات.

أما عن الإجابات الخاصة بالتساؤلات حول علاقة الأسرة و معاملتها، فكشفت الدراسة الاستطلاعية أن هؤلاء التلاميذ يعانون من مشاكل عديدة داخل أسرهم مثل طلاق الوالدين، التعامل بقساوة و بأسلوب سلطوي، مقابل ظهور أيضا أن التعامل مع المعلمين أصبح يأخذ شكل اللامبالاة، و من الملفت للانتباه أيضا أن العنف البدني لم يقتصر فقط على الذكور و إنما ظهر بنسبة عالية عند الإناث.

- و يفصح التلاميذ بنسبة عالية:

عن عدم رضاهم عن هذه الأوضاع إلى جانب شعورهم بالقلق و الخوف
لأنهم غير راضين عن الحياة الدراسية بهذه الوضعية، و ما يقلقهم أكثر حسب رأيهم
عدم مبالاة الأساتذة، و بالتالي عدم رضاهم عن ضعف قدرة هؤلاء على التحكم
والسيطرة.

مقابل

- | | |
|-------------------------------------|---------------------------|
| -الضغوطات الاجتماعية | -استخدام الأسلوب العدواني |
| في المعاملة | |
| -التغير في النمط المعيشي | -الحرمان العاطفي |
| -سوء الحالة الاقتصادية | -الإهمال |
| -الصراعات من جراء هذه الضغوطات | - اللامبالاة |
| -عدم القدرة على التأقلم | -استخدام أسلوب العقاب |
| العنيف | |
| -العجز عن التكيف مع الوظائف الجديدة | |

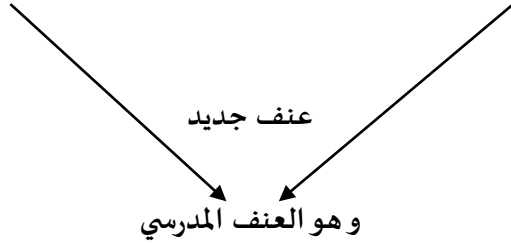
العنف

كرد فعل على هذه الضغوطات

- نظرة المعلم للتلميذ.
- الأسلوب المتبع في التدريس (طريقة التلقي) التقليدية.
- استخدام أسلوب العنف.
- الاستهزاء – الشتم – الضرب – الإهانة.
- استخدام وسائل الإحباط.
- عدم مراعاة الفروق الفردية بين التلاميذ.
- الاهتمام المفرط بالناجح و ترك الفاشل و التقليل من قيمته.

مقابل

- اكتظاظ الأقسام.
- التشويش.
- نقص الوسائل التعليمية و ضعفها (و أحيانا هي تقليدية لا تواكب العصر المتغير).
- الحالة النفسية المحبطة.
- اكتظاظ البرامج و تغييرها كل مرة.
- عدم فهم الدرس (الأسلوب لا يتماشى مع المستوى).



مراجع الدراسة:

1- باللغة العربية:

- ابن خلدون(عبد الرحمن)،مقدمة ابن خلدون،المكتبة العصرية،بيروت لبنان،الطبعة الثانية 2004.
- ابن منظور: لسان العرب ،دارلسان العرب،بيروت ، 1975،257.
- أحمد حسن الشحات، الصراع القيمي لدى الشباب و مواجهته من منظور التربية الاسلامية،القاهرة دار الفكر العربي.
- احمد زكي بدوي : معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية ، مكتبة لبنان ، بيروت، 1986 ، ص 44.
- أميمة منير عبد الحميد جادو،دار السحاب للنشر و التوزيع،الطبعة الأولى،القاهرة،2005.
- جميل صليبا : معجم الفلسفة ، دار العلم للملايين ، بيروت ، 1982.
- حسين توفيق إبراهيم : ظاهرة العنف السياسي في النظم العربية، سلسلة أطروحات الدكتوراه (14) ، مركز دراسات الوحدة العربية ،بيروت لبنان ، ط2 1993.
- عبد الرحمن العيسوي : الذكاء و الجريمة،دراسة في علم النفس الجنائي، منشورات الحلبي، الطبعة الأولى 2008.
- رجاء مكي، سامي عجم: اشكالية العنف :العنف المشروع والعنف المدان ،المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر مجد ، بيروت، لبنان، ط1، 2008.
- السيد عوض : جرائم العنف الأسري بين الريف والحضر ،مطبوعات مركز البحوث والدراسات الاجتماعية القاهرة ،2004.
- سوسن شاكر مجيد، العنف و الطفولة.دراسات نفسية،الطبعة الأولى،دار صفاء للنشر و التوزيع،عمان،2008.
- سيد عبد الله معتز،العنف في الحياة الجامعية.
- السيد عوض : جرائم العنف الأسري بين الريف والحضر ،مطبوعات مركز البحوث والدراسات الاجتماعية القاهرة 2004.
- صالح حسن الداهري، أساسيات علم الاجتماع النفسي التربوي ونظرياته،دار مكتبة الحامد للنشر و التوزيع،عمان،الطبعة الأولى 2011.
- عامر مصباح،التنشئة الاجتماعية و السلوك الانحرافي.

- عبد الأمير شمس الدين، الفكر التربوي عند الامام الغزالي، بيروت دار اقرأ، الطبعة الأولى 1985.
- عبد الرحمان العيسوي : الإرشاد التقني، الإسكندرية، دار المعرفة ، 1999 ، حسين توفيق إبراهيم : ظاهرة العنف السياسي في النظم العربية، سلسلة أطروحات الدكتوراه (14) ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت لبنان ، ط2 ، 1993.
- عبد الكريم غريب، سسيولوجية المدرسة، منشورات عالم التربية الطبعة 1، الدار البيضاء.
- * غني ناصر حسين القريشي، علم الجريمة، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان 2011.
- مجدي أحمد محمود ابراهيم و آخرون، العنف في المدرسة العربية، دراسة حالة، المكتبة العصرية للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، مصر، 2009.
- مجدي محمد توفيق حمدان- مظاهر العنف لدى طلبة الصف العاشر، المدارس الحكومية في مدينة عمان- الماجستير علم الاجتماع، الأردن 2007، كلية الدراسات العليا- اخليل درويش.
- محمد الشهب، المدرسة و السلوك الانحرافي، الطبعة الأولى، الدار البيضاء، 2000.
- محمد سلامة محم غباري، أطفالنا احتياجاتهم و مشكلاتهم و طرق العلاج، المكتب الجامعي الحديث، مصر.
- محمد عبد الرحمن عدس، بناء الثقة و تنمية القدرات في تربية الأطفال، دار الفكر للطباعة و النشر، الأردن، طبعة 1998.
- محمد عبد الله الوريكات، مبادئ علم الاجرام، دار وائل للنشر والتوزيع، الأردن، الطبعة الأولى 2008.
- مراد زعيبي، مؤسسات التنشئة الاجتماعية، منشورات جامعة باجي مختار، عنابة، الجزائر.
- مزوز بركو، العنف عند الأطفال و أشكال العقاب الممارس على الطفل العنيف، المكتبة العصرية، الطبعة الأولى 2010.

- ندى عبد الرحيم المحامدة,الجوانب السلوكية في الادارة المدرسية,الطبعة الأولى,دار صفاء للنشر,عمان,2005.
باللغة الفرنسية:

- Dodson Fitzhough: **tout se joue avant six ans**, Belgique éd marabout, PARIS,1972,
- Michaaud yves : **la violence , coll que sais- je?** 3 éd puf , paris,1992..
- Boiley(Roland),Violence et agression,time life international.
- donfut claude,Sociologie des generation,ed Puf,Paris 1988.
- Fatalité ou défi ? col pratiques pédagogiques éd ;De Bock université , Bu scelles, Belgique ,2000; P 19.
- Nederland,1977.
- Pierre Anare Boudin, Mihians ER Kohen ,Markus (EDS) : Violence a l école ,
- Zerdouni Nafissa,enfant d hiver,l education de l enfant en milieu traditionnel algerien,coll :Dommaine maghrebien,ed :Froncois Mespero,Paris,1982.